اذرع من عهد اسماعيل ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا
فيها تسعة اذرع فكانت ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها عن الارض لايصعد
اليها الا في درج قال السهيلي واول من عمل لها غلقا تيم بناها ابن الزبير
زاد فيها تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هي الآن قال وكان
بناؤها في الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم عليه السلام والثانية
حين بناها ابراهيم صلى الله عليه وسلم على القواعد الأول والثالثة حين بنتها قريش
قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت
من ابي قبيس فوقعت في ستارتها فاحترقت وقيل ان امرأة اراد ت أن تجمرها
فطارت شررة من المجمر في ستارتها فاحترقت قال السهيلي أيضا فهدمها
ابن الزبير حتى افضى الى قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يزيدوا في
الحفر فحفروا حجارا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فأمرهم أن يقروا القواعد
وان يبنوا من حيث انتهى الحفر قال وفي الخبر أنه سترها حين وصل الى القواعد نطاق
الناس بتلك الاستار فلم يخل قط من طائف حتى لقد ذكر ان يوم قتل ابن الزبير
واشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الاجمل يطوف بها
قال والمرة الخامسة حين بناها الحجاج بامر عبد الملك قال والحارث الذي وفد على عبد الملك
هو المعروف بالقباع وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر قال وقد قيل انه بني في ايام
جرهم مرة او مرتين لان السيل قد صدع حائطه ولم يكن ذلك بنيانا وانما كان
أصلاحا لما وهى منه قال وقد قيل ايضا ان آدم هو اول من بناها ذكره ابن اسحاق
في غير رواية البكائي وقيل كانت الكعبة قبل ان يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة
حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها لأنها انزلت اليه من الجنة وكان قد جيء بها مرفوعة
من الهند قلت في الصحيحين من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد
وضع على وجه الارض قبل قال المسجد الحرام قلت ثم ماذا قال بيت المقدس
قلت كم بينهما قال اربعون سنة وقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي

في بكة

في معناه قولان أحدهما أنه اول بيت مبارك وضع على الأرض وهذا قول علي
رضي الله عنه وقيل هو أول البيوت وضعا على الاطلاق وحديث ابي ذر صريح
بكونه اول المساجد ووجه الاحتجاج من هذه الاحاديث أن عمارة البيت
الذي هو اشرف المساجد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لولا المانع
من حدثان عهد القوم كما ذكر لهدمها وغير وضعها وهيئتها طولا وزيادة
من الحجر والصاقا لبابها بالأرض فدل ذلك على مساغ بطلان الابدال في
الاعيان الموقوفة للمصالح الراجحات فان قيل انما كان النبي صلى الله عليه وسلم
عازما على تغييرها لولا المانع الذي ذكره بناء على انها وضعت على قواعد ابراهيم
فكان رد ها الى البناء الاول واجبا لكونه مخالفا لقواعد ابراهيم قيل الجواب
من وجهين احدهما انه لو كان كذلك لوجب التغيير ولم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يقره فلما أقره دل على جواز الاقرار للمصلحة وجواز التغيير للمصلحة فانها
كان اول المأمور به ولهذا اختلف في ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
فصار ابن الزبير كما ذكرناه وطائفة الى ان تغييره أصلح وذهب ابن عباس
كما ذكرناه الى أن اقراره أصلح وهو الذي استقر عليه امر الناس كما نص عليه مالك
والشافعي والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما اخرجه مسلم كما سبق فان
بدا لقومك بعدي ان يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من سبعة
اذرع فقوله صلى الله عليه وسلم ان بدا لقومك بعدي دليل صريح في جواز التغيير
وجواز عدمه اذ لو كان واجبا لامره ولم يقل فان بدا لهم نعلم ان ذلك كان
معلقا على الراجح من المصلحتين في التغيير وعدمه وذلك يرفع الوجوب والله أعلم
الوجه الثالث ان الصحابة غيروا كثيرا من بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وابدلوه
بما يمكن منه للمصلحة الراجحة في ذلك قال ابو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس
ومجاهد بن موسى وهو أتم قالا حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثني ابن عن
صالح قال حدثنا نافع ان عبد الله بن عمر أخبره ان المسجد كان على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)